الامبراطورية العثمانية وفي اعقاب انحلالها ، ولابراز وجهة نظره في الموضوع ينتقي ما حدث للارض في تركيا ولليهود والاشوريين في العراق . وفي دراسة اخرى عن « الدين والسياسة » يعرض لموقف المسيحيين في النضال القومي العربي . والكاتب هنا لا يقدم دراسات تاريخية وحسب ، ولكنه في حقيقة الامر ينظر الى ما يجري اليوم في المنطقة ، ويبدي بشأنه رأيا — يقدم اسانيده من التاريخ، فبعد ما عرض لما حدث للارمن والاشوريين واليهود يقول أن هذا ينبغي ان ينذر اليوم الغرب الذي يحاول أن يبني في الشرق اوطانا فيها يمكن أن يتعايش المسلمون والمسيحيون واليهود ، ويضيف « لقد كانت الدولة العثمانية قائمة على نفس التنظيم بطريقة تحقق الدقة لهذا الهدف المرغوب فيه ولكن الامبراطورية العثمانية كانت شيئا يعتوره النقص . كانت محافظة متحجرة وضيقة الافق لم تكن تعرف شيئا من الخصوبة والمرونة والفرص الموجودة في التقاليد الاوروبية .»

استاذ السياسة — اليهودي العراقي — هنا يكشف تماما الارض التي يقف عليها ، انه يتبنى في المشكلة التي يطرح الشكل العلماني لحلها الموقف الصهيوني بلا تحفظ ويسخر الدراسة التاريخية تأييدا له . يريد أن يقول ان النموذج الصهيوني هو وحده الذي يتفق واوضاع الشعوب في المنطقة وتفكيرها وتقاليدها . وهو في نفس الوقت يحاول أن يجعل هذه الاوضاع وطريقة مواجهتها مشابهة لما واجهه اليهود في اوروبا — الامر الذي أدى الى ظهور الحل الصهيوني هناك .

فطبقا لما يقوله عالم الاجتماع الاسرائيلي ايزنشتات ، تعرض اليهود في اوروبا الى نوعين من التصفية : اما التصفية الروحية والثقافية بسبب القضاء على حياتهم التقليدية والطائفية بواسطة القوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الجديدة ، واما التصفية الجسدية والاقتصادية والسياسية بسبب عدم اندماجهم تماما في المجتمع، وعدم قدرة المجتمع الحديث على استيعاب هذا العنصر الغريب .

ومن خلال دراسته عن « الاقليات » يبرز المؤلف ما حدث للارمن واليهود العراقيين والاشوريين على انه تصفية مادية ، اما في دراسته عن « الدين والسياسة » فهو يقدم صورة التصفية الثقافية الروحية ، وفي جميع الاحوال فأن النتيجة النهائية هي أن الحل القومي قد فشل في المنطقة تماما باستثناء واحد . ففي نظر ايلي قدوري « اللعنة الحقيقية » التي وفدت من الغرب الى الشرق لم تكن الامبريالية وذلك أنه « ثمة حقيقة بسيطة وواضحة ، ان المناطق التي يقال اليوم انها تعاني من الامبريالية لم تعرف طوال الجزء الاكبر من تاريخها سوى الحكم الاجنبي — وحتى مجيء القوى الغربية ، لم تكن خبرة هذه المناطق في أنواع الحكومات سوى خبرة الحكم المتغطرس الجشع الاستبدادي غير المسؤول اذن فليس من هذه الناحية يكون نقد الوجود الغربي في اسيا وافريقيا » .

اللعنة الحقيقية التي أتى بها الغرب الى الشرق — دون قصد منه ، هي الفكرة القومية . انها « المرض — الوباء » الذي انتشر من غرب اوروبا مارا بالبلقان والامبراطورية العثمانية والهند والشرق الاقصى وافريقيا مفترسا بنية المجتمعات المستقرة ليتركها ضعيفة وبلا دفاع في مواجهة الحكام الجدد في ظل الدول القومية الوليدة — المغامرين والجهلة ، المجردين من الخلق يسومون هذه المجتمعات مزيدا من الفظائع والوحشية » .

ويقدم المؤلف النموذج التقليدي لكلامه هذا : الجماعات التي كانت تتكون منها الامبراطورية العثمانية ، ويعرض الكاتب للارمن والاشوريين ويهود العراق ، الارمن احمد السلطان عبد الحميد انتفاضاتهم بوحشية بالغة ، والاشوريين تركتهم بريطانيا لحكام العراق الجدد بعد استقلاله، اما يهود العراق فانهم تعرضوا للاضطهاد ثم المذابح عام ١٩١٤ ، ولم ينقذهم الا مجيء بعثة صهيونية من فلسطين تغريهم وتجبرهم كي يهاجروا ، وانتهى الامر بتصفية الطائفة اليهودية من العراق .

ويهاجم المؤلف اولئك الغربيين الذين كانوا يأملون خيرا من ادخال الاصلاحات في الامبراطورية العثمانية هؤلاء « جهلة ومتسرعين » وكل فريق ناصر فئة ومن هنا الفظائع التي ينطوي عليها مبدأ تقرير المصير القومي وما أدى اليه من هدم هذه الطوائف الصغيرة ذات الخبرة السياسية الضئيلة ، ثم يورد النص الذي سقناه فيما سبق خاصا بانذار الغرب وهو يحاول اليوم ان يكرر التجربة .